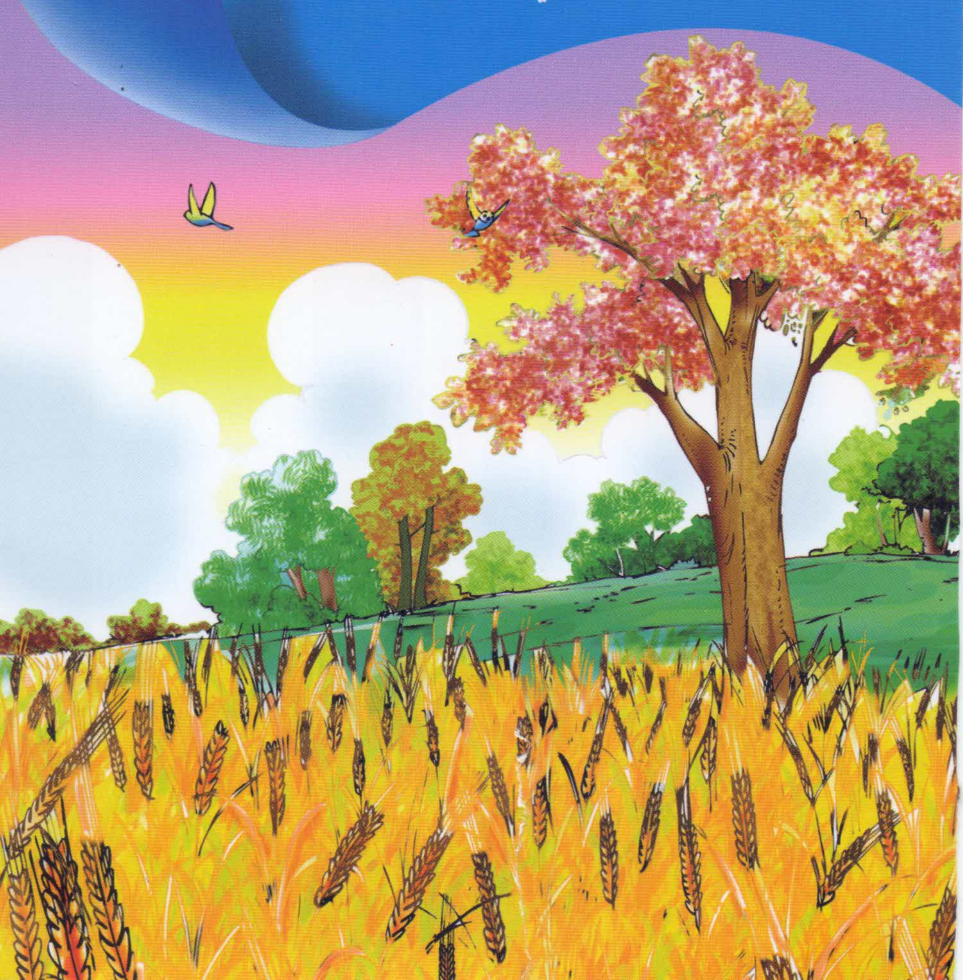
قصص مكارم الأخلاق

بركة السنابل

روحي دميرال



قصص مكارم الأخلاق

بركة السنابل

خرَج من باب الطاحونة، وهو يُتمتمُ: آهٍ يا ولدي!ألمْ تستطع أن تصبِر قليلًا، إن الله سيُعطيك رزقك، ولكنْ الحق معك، فالذنب ذنبي، لقد تباطأتِ في هذا الأمر، ما كان ينبغي أن أنتظر حتى هذا الوقت لكي أُرسل لكم القمحَ.


ISBN: 978-975-315-627-1



بركة السنابل


بسم الله الرحمن الرحيم

بركة السنابل

تأليف

روحي دميرال

ترجمة

أسماء مكاوي

بركة السنابل

قصص مكارم الأخلاق-٣

الطبعة الأولى: 1434 هـ - 2013 م

تحرير
يوكسل جلبنار

مراجعة
عبد المولى على جربيع

تصحيح
د.عبد الجواد محمد الحردان

المخرج الفني
أنكين جيفجي

غلاف وتصميم
ياووز يلماز

رقم الإيداع ISBN:978-975-315-627-1

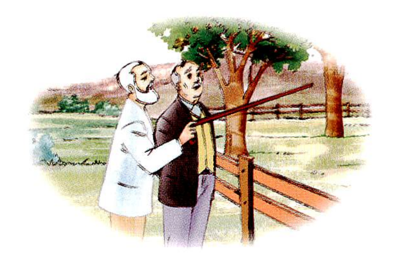
رقم النشر
503

I IK YAYINLARI
Bulgurlu Mah. Ba cılar Cad. No:1
sküdar - stanbul / Türkiye 34696
Tel: +90 216 522 11 44 Faks: +90 216 650 94 44

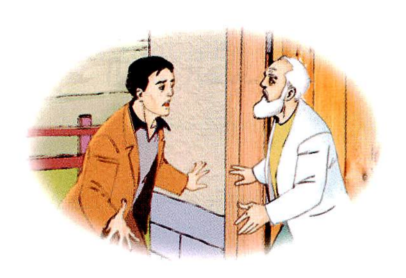
دار النيل للطباعة والنشر
الإدارة: 22 ج- جنوب الأكاديمية- التسعين الشمالي
- خلف سيتي بنك- التجمع الخامس- القاهرة الجديدة - مصر
5-Tel & Fax: 002 02 26134402
Mobile: 0020 1000780841
E-mail: daralnile@daralnile.com

مركز التوزيع: ٧ ش البرامكة - الحي السابع - مدينة نصر - القاهرة - مصر
Mobile: 0020 1141992888

فهرس



٣٢ الحبُّ والحنان



٣٩ سَرَقَ وَلَكِن...



الطاحونة

اختبأ سمير جيدًا خلف الدَّغل في وقت أوشكت فيه الشمس أن تغرب، وأخذت الطيور تُزَقْزِق عند شجرة الدُّلْب أمامَ الطَّاحونة كما يحدثُ وقت الغروبِ كلَّ يوم، وكاد خرير المياه المتدفِّق من مِزراب

مُرتفع يقطع صوت زَقْزقة الطيور، أراد سمير أن يدخل إلى الطاحونة، ويأخذ القمح دونَ أن يشعر به الطَّحان؛ لذا كان يترقَّبُ الوقت المناسب للدّخول، أمَّا الطَّحان فقدْ كان مُنشغلًا بجَمْع القمح بعد أن نشَره على الأرض ليُجفّفه في السهل أمام شجرة الدُّلْب.

انتظر سمير بقلقٍ شديد وركبتاه ترتجِفان، ولما أحسَّ بتسرُّع في نبَضات قَلْبه عضَّ على شفَتَيْه، وقال في نفسه:

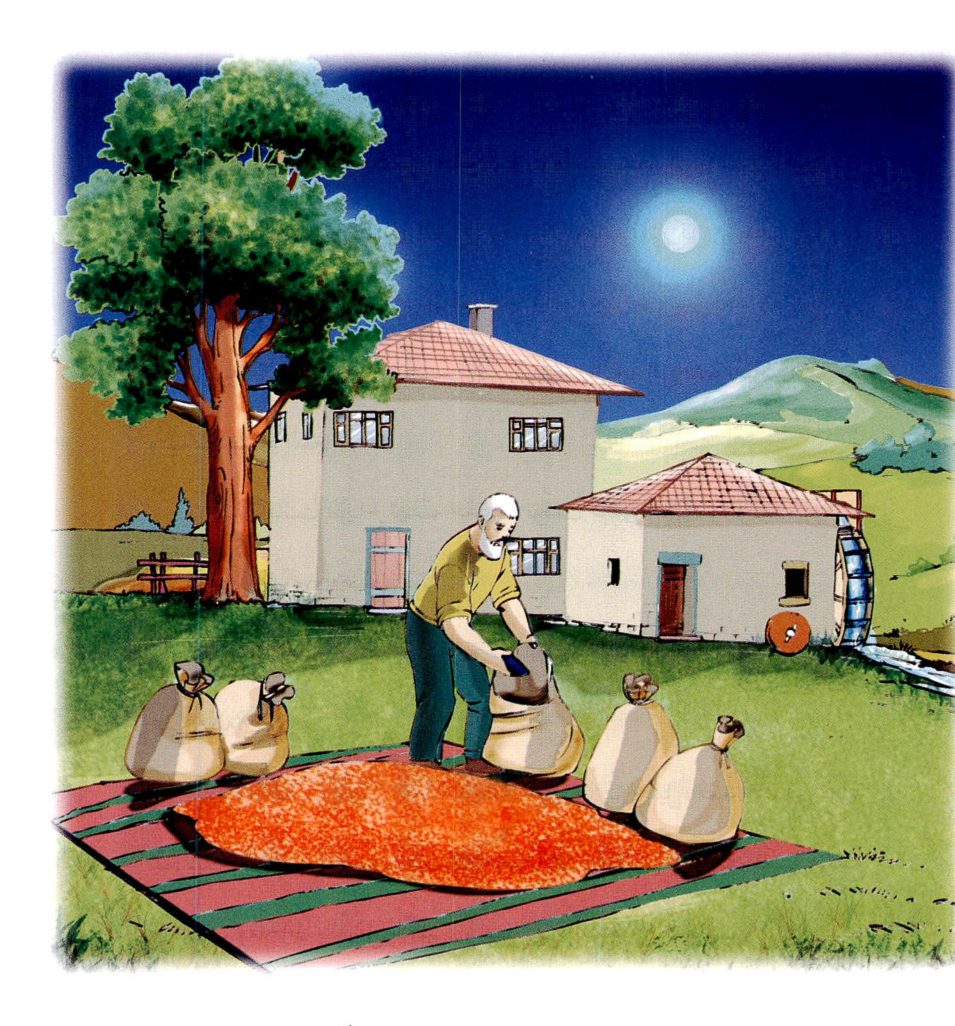
- لا، ينبغي ألا أفعل هذا، إنه خطَأ.

وفكَّر أنْ يعودَ أدراجَه، والتفتَ إلى القرية عِدّة مرَّات مُفكرًا في العودة، ولكن رَغْم كل تردده فقد ساقته قدماه إلى مكانه الذي هو فيه الآن.

أخذ يفكِّر في زوجته وولده بُرْهة، ثمّ اتَّخذ قراره النِّهائيّ بأنه سيأخذ غِرارة قَمْح مهما كلّفه ثمنُها، فخلعَ قَلَنْسُوَته الغريبة ذات اللون الباهِت، ووضعها في وِشاحه، ثمَّ اعتدل ونظرَ إلى الطَّحان، وتمتمَ في نفسه قائلًا:

- أنا بحاجةٍ شديدةٍ لهذا القمح؛ فأنا مُكرَه على فِعْل هذا.

كدَّس الجدُّ سُليمان صاحب الطَّاحونة القَمْح جيدًا، ووضَعه في غِرارات صغيرة ليسهُل عليه حَمْلها، ثمَّ نقلها واحدةً تِلْو الأُخرى إلى الداخل، لكن جسدَه النحيل الهزيل تَعِبَ، فهو شيخ كبير، وسقط خائرًا مُنْهَك القُوى



على الكرسيّ بجانب الباب، وأسند رأسه إلى حائط الطّاحونة، وتأوّه بشدة، وبينما هو يمسح عَرَقه بمِنديله المطرَّز لَمَح البَذْر فنَسِيَ كل تعَبِه في تلك اللحظة، وقال مُبتسمًا:

- ما أجملَك اليوم!

ثـم صمَـت وكأنَّـه ينتظر إجابة البـدر، وأخـذ ينظـر إلـى البـدر بإعجاب، وقـد اعتـاد أن يـرى كمـال الخَلْـق وقُـدرة الخالـق فـي كل ما ينظـر إليـه، ثـمَّ انتفـض فَجْـأة كمـن تذكَّـر شيئًا، فخلـع حِـذاءه وجَوْرَبَـه، ولبس حِذاء قديمًا غيَّر الدقيـق لونَـه الأصليّ، وقـام مُشـمّرًا عـن ذِراعيه، واتَّجه إلى النهر مُباشـرةً ليُجدّد وضوءه لصلاة المغرب.

بينمـا كانـت الرِّيـاح تهـبُّ خفيفـةً، تَوقَّـف سـمير فجـأةً وهـو يحمـل فوق ظَهْره غِرارة القَمْح، وهمَس قائلًا:

– مـن الخطَـأ أن أدخـلَ القريـة مـن الطريـق الرئيـس، تُـرى مـا الـذي يجب عليَّ فِعْله؟!

ثـمّ بـدا لـه أن يُحـوِّل طريقـه ناحيـة حديقـة عـم خليل، فقـدْ كان في نهاية الحديقـة طريـق آمِـن، وهـو وإنْ كان بعيـدًا عـن الطريـق الرئيسـة، لكنـه مُرتفعُ الجوانب ومُحاط بالدَّغَل الكثير، ويصل إلى البلدة من الجانب الغَرْبيّ.

عندما مرَّ سمير من الحديقة، ووصل إلى هذا الطريق النائي أصابه حُزْنٌ عميـق، وتوقّـف لأنـه لـم يَعُـد يحتمـل ثِقَـل الغِـرارة الـذي يزداد فـي كلّ خطـوة مـع هـذا الغـمِّ، ويُؤْلـم يديـه بشـدّة، فأحنـى رُكْبتيـه، وألقى بالغِرارة على الأرض، واعتدل بصعوبة، ثـمَّ طوى قُبّعته، ونظر إلى القرية، وفكَّر قائلًا:

– لا يزال الوقت مُبكرًا لدخول القرية.

وكان لا بدَّ له من الانتظار إلى الليل لكي يصل إلى منزله دون أن يراه أحد، حكَّ قَبْضَتَيْه الحمراوين، وما إن تمالك نفسه حتى أسند ظهره، وهو يُتمتم قائلًا:

– في الحقيقة إنَّ العمّ سُليمان رجل طيب، ولو أنني ذهبت إليه، وأفضيت له بأمري، لرُبَّما قدّر حالتي وأعطاني قليلًا من القمح، ولكن كيف سأطلب منه؟! لا بأس! فعندما يأتي وقت الحصاد أُعيدها خُفْية، وأُحضر غِرارة بدَلًا منها، وبهذا ينتهي الأمر، خصوصًا أنَّه لم تكن في نيتي السرقة، ولكني قصدتُ أخذ دَين مُؤقّت، على كلٍّ ليس هذا وقت التفكير في تلك الأشياء، لا بدَّ لي أن أنام قليلًا وأستريح.

استلقى سمير على ظهره، وغطَّى وجهه بذراعه؛ ليَحْجُب ضوء البدر الساطع على وجهه، ولكنَّه لا يزال يفتقد الراحة بسبب الضوء، ففكَّر أن يستتر بقُبَّعته من ضوء البدر ثمَّ ينام، مدَّ يده إلى وِشاحه، ثمَّ قال:

– ياإلهي! أين القُبَّعة؟!.

فقد قبعته، وراح يُفكّر فيها، وفي النهاية تذكَّر أنَّه قد وضعها في وِشاحه قبل أن يدخل الطَّاحونة، فاعتدل وقلَّب وِشاحه جيدًا، لكنَّه لمْ يجدها.

– لا بدَّ أنَّني أضعتُها أثناءَ عَوْدتي، انظر! في غَمْضة عين فقَدْت قُبَّعتي بعد سبع سنوات، لاحول ولا قوة إلا بالله، ضاع الجَمَل بما حمَل.



تضايق سمير كثيرًا، فمعَ أنَّ قُبَّعته كانت قديمة، إلا أنَّها كانت ذاتَ أهمية كبيرة، فلوَّح برأسه يمينًا ويسارًا، واستلقى على الأرض مُجدَّدًا لكي يستريح.

أدَّى الجدّ سليمان صلاته، وراح يدعو كثيرًا كعادته بعد كلِّ صلاة، وعَقِب انتهائه من الدعاء أغمض عَيْنَيْه، وقال: آمين!

كان يشعر بسعادة عارمة من قول هذه الكلمة، ثمَّ كرَّرها مرة أخرى مع المدّ: آميييييين.

كان في كلِّ مرة يُؤَمِّنُ فيها يرى خيال جدَّته أمام ناظرَيْه، فقد أثَّر أسلوب حياتها كثيراً في الجدّ سليمان، وهو ما جعله يصلّي منذ أن كان في السابعة من عُمُره؛ إذ كانت تلك المرأة العجوز تتوضأ قبل أن يحين وقت الصلاة، وتُنادي حفيدها الوحيد سُليمان، فيُقيمان الصلاة معًا، وكان سُليمان يرفع يديه الصغيرتين، ويُؤَمِّن على دعاء جدَّته، فكان عَقِب كل صلاة ينتظر بلَهْفةٍ بريئة تلك اللحظة التي تُقال فيها هذه الكلمة.

مرَّت سنوات كثيرة، وكَبِر سليمان الصغير حتى أصبح هِرَمًا، إلا انه لم يكن لديه ولد أو حفيد يُؤَمِّن على دُعائه، فلم يُرزق بطفل، ولَطالما كان يسأل الله ذلك، فأصبح وحيدًا بعد أن فَقَد زوجته الحبيبة سميحة رفيقة حياته منذ سنوات.

حاول الجدُّ سليمان القيامَ والوقوف على قدميه، ثم قال مُواسيًا قلبه المُسنّ:

– سنلتقي قريبًا إن شاء الله، فأنا لست بخالد في هذه الدنيا!.

ووسط خرير مياه النهر الهادئ دعا لزوجته المرحومة مرة أُخرى، ثمَّ جلس على كرسيه الخشبيّ، وأخذَ يتذكَّرُ ما ينبغي أن يفعله في الغد، فعليه

أن يطحنَ القمح حتى وقت الضُّحى، ثمَّ يخرجَ قبل الظهيرة إلى القرية لصلاة الجمعة، ثم يمرُّ على عم كمال ونوري وحسن وسمير، وهم من فقراء القرية؛ إذ كان يُفكِّر في مُساعدتهم وإعطائهم قَمْحًا قبل حلول شهر رمضان المقبل، فقدْ كان أهالي القرية يدفعون أُجْرة القمح المطحون قمحًا بدلًا من المال، ولم يكن الجدّ سليمان يعترض عليهم في ذلك؛ لأنه يرضى بكلِّ ما يدفعونه مهما كان، وتراكم القمح بكثرة في الداخل، فقام من مجلسه وقال:

- حسنًا! غدًا سأُخبرهم ليأتوا إلى هنا، حتى يأخذوا غِراراتهم.

وأحسَّ بالجوع، فدخل ليأكل الطعام الذي أعدَّه نهارًا، أخرج من جيبه الكِبْريت، وأضاء مِصباح الزيت على الحائط، فرأى فَأْرًا يقْفِز أمامه، فقال:

- آهٍ أنت من جديد.

هرب الفأر إلى المخزن، فأخذ الجدُّ سليمان المِصباح، ودخل إليه بسرعة، وعندما رأى الفأر يختبئ بين الغِرارات قال:

- أتمنى ألا يأكل من غِرارات القمح.

جثا على رُكبتيه، وفحَص الغِرارات واحدة تلو أخرى، وبينما هو يعود أدراجَه لفَتَ انتباهه شيء رآه من خلال ضَوْء المِصباح الخافت، مدَّ يده ليأخذه فإذا هو قُبَّعة قديمة باهتة اللون، فتحوَّل قلَقُه إلى حَيْرة، وقال:

- إنها قُبَّعة سمير! ولكن كيف وصلت إلى هنا؟!

فكّر كثيراً كيف يُمكن أن تَصِل القُبَّعة إلى المَخْزن! ولمَّا لم يجد تفسيراً لهذا، هزَّ كتفيه قائلًا:

– يا إلهي! لا يعنيني، كيفما أتَت تأتي!

وأخذها معه ليُعيدها إلى سمير، فدخل غرفته، وعندما رأى مائدة الطعام نَسِي أَمْر الفأر والقُبَّعة، وقال:

– ما أعظم هذه النعمة! ربي لك الحمد على ما أنعمت به عليَّ من قمحٍ مجروش (برغل) ولبن رائب.



الفرار الصعب

أغمضَ سمير عَيْنَيْه، لكنَّه لم يستطع النوم ألبتة، فقد أزعجه عواء الكلب القادم من ناحية القرية، وقد كان عواء هذه الحيوانات في وقت العشاء لا يُبشِّر بالخير أبدًا، لا بدَّ أن الكلاب قد أحسَّت بوجود سمير، أو اشتمَّت رائحة خنزير

يتجوّل في الناحية، وقد انزعج سمير من هذين الاحتمالين؛ فهو يخشى الكلب والخنزير منذ صِغَرِه ، مدَّ يده إلى ساقه، وتحسّس بسبّابته أثر الجرح الباقي فيها، فتجسَّدت أمامه تلك الحادثة المخيفة التي عاشها قبل سنوات:

فقد كانت الخنازير تتردّد على حُقول الذُّرَة كعادتها، ولا تكتفي بالأكل منها، بل تَنْبُش الأرض، وتهْدِم نباتات الذُّرَة التي لم تنمُ بعدُ وتقتلعها من جذورها؛ ولهذا كان القرويون يأخذون حِذْرهم، فيضعون -كَرْهًا- العرائش في أعلى مكان في الحقل، وتتمّ حراسة الذُّرَة ليلًا في هذه العرائش، وكانت تستمرّ هذه الحراسات حتى الصباح، وفي تلك الأثناء كان سمير يحرُس حقل العُمْدة بالأجْرة.

كانت البذور اليابسة تُطِلُّ برؤوسها الخضراء من تحت الأرض، تتمدّد بسرعة في ضوء النهار، وتزداد قامتها طولًا، ولما بدأت الجذور تزداد غِلْظة يومًا بعد يوم، والشرابات تتفتح فوقها، أخذ سمير يحرس الحقل وفي يده بُندقيته التي وَرِثها عن أبيه.

وذات مساء غلبَهُ النُّعاس وهو يستمع إلى طيور الليل، ثم انتفض من مكانه على صوت خَشْخَشة سَمِعها في الصباح، نظر إلى الحقل وهو يفرُك عَيْنَيْه الناعستين، وعندما رأى أوراق الذُّرَة تهتزُّ غَمَرته السعادة، وكأنَّه وجد ضالته، فأخذ بُندقيته ورفع إحدى رُكبتيه إلى صدره، واتَّخذ موقعًا مناسبًا،

وأخذ ينتظر الحيوان الذي سيخرج من بين الذُّرَة، سُرعان ما صوَّب بُندقيته نحو ما تراءى له من الخيال في الظلام الدّامس، وقال:

- نعم، أمسكتُ بك، أيها الوَغْد!

وقبل أن يضغط على الزِّناد ارْتعد فَجْأةً؛ فقد ظهر حيوان ضَخْم حوَّل سعادته إلى قَلَق وفَزَع، أَعْقَبه ذُعْر ورُعْب، وتجمَّد جسد سمير وأضحى كالثلج، وهمس:

- يا إلهي! ما هذا؟!

فتح عينيه قليلًا، وشخَص بصره من شدة الخوف! إنه خنزير ضَخْم جدًّا! ما رأى مثله من قبلُ، ولا سَمِع عنه حتى اليوم! أمسك سمير البندقية جيدًا، وسدَّد مرةً أُخرى، وقبل أن يُطلق الرصاص تذكَّر قول العُمْدة:

- احْذَر! فهذا الحيوان الكريه عاقل بعض الشيء، وعليك أن تُغيِّر مكانك فَوْر إطلاق النار عليه؛ لأنَّ الرصاصة التي تخرج من البندقية تدلُّ على مكانك الذي أنت فيه، فتُقبل الخنازير عليك بكثرةٍ، فخُذْ حِذْرك، وإلا فالأمر عسير.

أخذ سمير يرتجف خوفًا، ونَسِي من شدة خوفه أنَّ الخنزير لا يمكنه أن يتسلَّق العريش، فرمى بندقيته، وقَفَز إلى الأسفل فسقَط، وأحدثَ ضجَّة، ثمَّ نهض مُسرعًا، وأخذ يجري مُهَرْوِلًا، دون أن يلتفت إلى أشواك تُوْت

العُلَّيْق التي انغرزتْ في قدَمَيْه، ومزقَّت سِرْواله، وكاد لا يُفرِّق بين الفِخاخ التي لم يتجرأ يومًا على المرور فوقها وبين الحُفَر الصغيرة، وبينما هو يقْفِز من أحد الخنادق، شعر بألمٍ حادٍّ في ساقه، إلا أنَّه لم يكن في وَضْع يسمح له بالوقوف ورؤية ما أصابها، فهو يريد أن يهرب، وأخذ يجري خائفًا فزِعًا إلى أن أحسَّ بالأمان.

إن الجرح العميق الذي يتحسّسه بيده الآن هو من آثار تلك الشَّظِية الحادّة التي أصابته في ساقه ذلك اليوم.

خَشِيَ سمير أن يتعرّض مرة أخرى لمثل تلك الحادثة التي وقعت له قبل سنوات، فعدَل عن فكرة الانتظار ليلًا، ثمَّ اعتدل واقفًا على قدميه، وحمل الغِرارة على ظَهْره، واختفى في الظلام.

استيقظ الجدّ سليمان، وخرج لصلاة الفجر، وتوضأ بسرعةٍ فأحسن وضوءه من المِزْراب الذي أمامه، ومدَّ يده إلى منديله ليُنشِّف الماء، ولكنَّه تراجع، ومشى ناحية النهر مُباشرة، فوقف بجانب المياه المُتدفِّقة، وأخذ يستمع إلى هدير النهر العَذْب الممْتع قائلًا في نفسه:

- بينما تذكّر البحارُ الإنسانَ بمَوْجات من الآلام، تذهب الأنهار بضيق القلوب، يا ربّ! لك الحمد لِمَا خلقتني في هذا المكان الجميل؛ فأنا أرى كمال صُنْعك أينما نظرت، وهل من المعقول أن أشاهد شجرة الدلب والنهر



والأعشاب والغابة والعصافير الصغيرة ولا أذكرك؟!

غَمَرتْ قلبَه سكينةٌ وراحة عظيمة، ثمَّ عاد بوجه طَلْق، ونظر حوله فتمتمَ قائلًا:

- هنا مكان مُناسب لأداء الصلاة.

أراد أن يُصلّي فوق الأعشاب، فاستقبل القِبْلة، وأخذ نفَسًا عميقًا، ثمَّ بدأ يصلي، وأحنى رأسه قليلًا، وبدا في وجهه تعبير جميل، ترى معه حُبَّ الله وخشيته في عَيْنَيْه المفتوحتين، فهو يُؤدي كل صلاة برغبة وحُبّ، وكأنَّها آخر صلاة له في حياته، ومن يرون منه هذه الحالة يتعجّبون، ولا يكفُّون عن مُشاهدته وهم لأمره يعجبون.

إنّ الصلاة هي كلُّ شيء عنده، وهي أهمّ شيء في حياته، فهو يُنظِّم كل شؤونه تبعًا لمواقيت الصلاة؛ إذ اعتاد في مواعيده أن يستخدم مثل هذه العبارات:

- (بعد صلاة الظهر، أمام المسجد، عند صلاة العصر، عند صلاة العشاء).

وبعد صلاته فتَح يدَيْه وبدأ يدعو، فكان يذكر أسماءِ السابقين وأهل القرية ويدعو لهم، وأغمض عينيه لحظةً، وفكَّر في آخر اسم ذَكَرهُ، ثمَّ هزَّ رأسه ليطْرُد عن ذِهْنه الشكّ الذي طرأ له، وعندما أنهى دعاءه أشغل نفسه قليلًا بالأعشاب، ولم يكن يَشغل بالَهُ أحدٌ سوى سمير، فقال لنفسه:

- إنَّه لأمر عجيب! إنني ما رأيت سمير يدنو من الطاحونة أو يمرُّ عليها في هذا اليوم أبدًا.

لم يَعُدْ يصبر ألبتة، فقام إلى المخزن مُسرعًا، وفحَصَه بدِقَّة، وعندما

لاحظ اختفاءَ إحدى الغِرارات، وكان قد وضعها بجانب النافذة، أوشك الدم أن يتجمَّد في عُروقه، ثمَّ تقدَّم نحو النافذة، وعندما رأى أنَّ الحَبْل الذي يربط بين طرفي النافذة مقطوع ضَحِك قائلًا:

– يا إلهي! فتى مجنون! أخذ الغِرارة التي نويتُ أن أُعطيه إيّاها، كأنَّه أحسَّ في نفسه بذلك.

خرَج من باب الطاحونة، وهو يُتمتمُ:

– آهٍ يا ولدي! لمْ تستطع أن تصبِر قليلًا، إن الله سيُعطيك رزقك، ولكنْ الحق معك، فالذنب ذنبي، لقد تباطأت في هذا الأمر، ما كان ينبغي أن أنتظر حتى هذا الوقت لكي أُرسل لكم القمحَ.

مسح عينيه بظهر يده، وجلس على الكرسي، وراح ينظر إلى بُزوغ الفجر بأعين دامعة، وعندما حان الوقت الذي يُحبّه ويجد فيه سكينته، استيقظت الطيور، وراح ينتظر شروق الشمس مع زَقْزقتها.



تأنيب الضمير

استيقظ سمير قُبيل الظهيرة وظَهْره يُؤلمه، فقام من مَرْقده بصعوبة، ونظر إلى الساعة، ثمَّ قال:

- أوّه! لقد نمت كثيراً! لقد حان وقت الظهر، واقترب وقت صلاة الجمعة.

وثب وهو يتثاءب باسطًا ذِراعَيْه، وحرَّك جسده، ثمَّ ارتدى ثيابه، ونظرَ من النافذة، كانت زوجته تغسل الملابس على حافَّة البئر، أخذ يتأمّل زوجته بحُبٍّ، تلك الزوجة النشيطة المضحية ذات القلب النقيّ، إنّه يُحبّها كثيرًا، ثم وضَع جبهته على زجاج النافذة، وابتسم وهو يُتمتم قائلًا:

– عزيزتي! اعلمي أنَّني مهما فعلت من شيء، فقدْ فعلته لكي لا أُحزنك، إنَّ قلبي لن يرضى بأن تُعاني الفَقْر بسبب ضَعْفي وقِلّة حيلتي، ستمضي هذه الأيام، وسوف يأتي يوم يكون لدينا فيه مال وأملاك، وسنعيش معًا دون أن نحتاج إلى أحد.

التفت سمير إلى الوراء، ونظر إلى طفله في المهْد، وأتمَّ جملته قائلًا:

– وأنت أيضًا يا ولدي!

كان طِفْله الصغير ينام بهدوء، فتقدّم سمير نحوه وضمَّه إلى صدره، ثم نزل، مرَّ بجانب نيران القِدْر التي تغلي فيها المياه، وتقدّم نحو زوجته مُباشرة، فناداها وهو مُتردّد قليلًا:

– أعانك الله يا صالحة! لقد أحضرتُ إليك أحمد، وأنا سأذهب إلى الصلاة.

اعتدلت زوجته وأسرعت نَحْوه مُباشرة، وبينما هي تأخذ الطفل نظرت إلى زوجها نظرةً عجيبة، وهو ممن يفهم معنى هذه النظرة، إلا أنَّه اتجه

إلى الباب غير مُكترث، وهو يقول:

- عليَّ أن أُدرك صلاة الجمعة.

اغْرَوْرَقت عينا المرأة بالدموع، ونظرت إلى زوجها، ثمَّ عادت فنظرت إلى صغيرها، وثارت العاصفة الثائرة في قلبها على شفتَيْها المُرتعدتين جُملة جُملة:

- آهٍ يا ولدي! ماذا سنفعل الآن؟! لو تعلم ما فعله والدك؟! إنَّه لم يكن مُضطرًّا للقيام بهذا! ولن يتركنا الله في بُؤْسنا.

لم تكن صالحةٌ راضيةً عما فعَلهُ سمير بأيّ حال من الأحوال، ولم يكن لها حَوْل أو قوة في مَنْع ذلك، أخذت تبثُّ شكواها لنفسها، ففتحت يديها، وأفضتْ بألمها للمولى عزَّ وَجَلَّ قائلة:

- يا ربّ! لا تُطعم هذا الطِّفْل غير اللُّقْمة الحلال.

ثم احتضنت صغيرها بقوة، ونظرت بطرف عينها إلى الناحية التي اتَّجه منها زوجها، وكانت صالحة قد توسلت إلى سمير كثيرًا، وقالت:

- سنستعين بوالدِي.

ولكنَّه لم يقبل بهذا، بل أجابها -وهي تبكي أمامه- في غضَبٍ وحُزنٍ عميق قائلًا:

- ماذا سيقول والدكِ عنّا؟! ألن يقول: إن كنت لا تستطيع أن تضمن معيشتك فلماذا تزوجت بابنتي إذًا؟!

لمْ تضِف صالحة شيئًا، وقامت إلى غرفة جانبي وهي تحتضن أحمد، وأخذت تبكي بدون صوت.

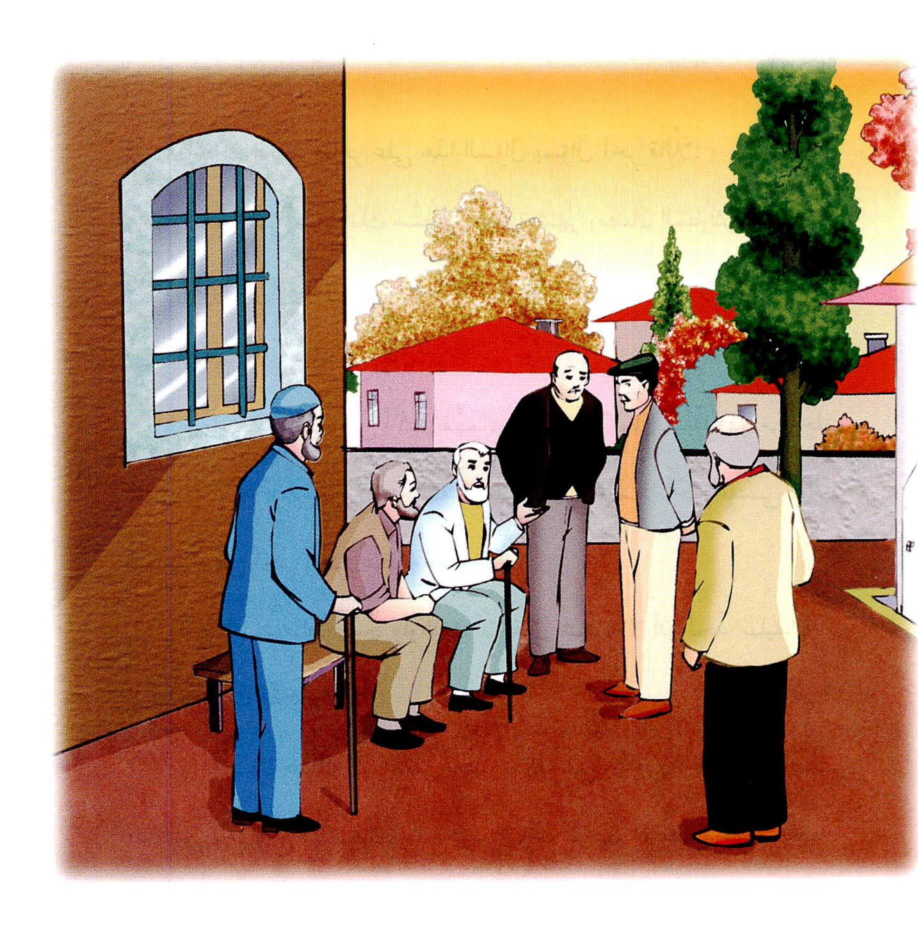
كان الجدّ سليمان يجلس مع بعض المُسنّين في فناء المسجد، فَدَارَ الحديثُ حتى وصل إلى شهر رمضان الذي اقترب، فتحدّثوا عن خيرات هذا الشهر المبارك، وتحدَّث الجدّ سليمان عن القمح والدقيق الذي يُفكّر في توزيعه على الفقراء، وعن عدَد المحتاجين في القرية، ثُمَّ توقَّف قليلًا، وأضاف اسمًا آخر تذكّره عندئذٍ، فقال:

– إذا أعطيتُ لكمال يكون أفضل، فالرجل مسكين قد اشتدَّت به ضائقة العيش.

اعترض أحد المُسنّين قائلًا:

– يا سيد سليمان! برأيي أعد النَّظر في موضوع كمال، نعم لقد اشتدَّت به ضائقةُ العيش، ولكنَّه بدلًا من أن يقتاتَ به فهو يُنفقه على العادات السيئة، أنت تعلمُ جيدًا أنَّه رجل ليس بذيء اللسان فحسب، بل هو سيء الأخلاق أيضًا، فليس هناك أحدٌ في هذه القرية يُحبّ ذلك الرجل، الجميع ينْفِر منه، سوف يبيع ما ستُعطيه من القمح في السوق، ويشتري بثمنه أشياء محرَّمة، ويشربُ الخمر، ثمّ يعود إلى القرية سكران ويُضايق القَرويِّين.

بعد هذا الحديث عمَّ المكانَ صمتٌ طويل، ولم يَرُقْ للجدّ سليمان



كلامُ الشيخ الذي اعترض عليه، فنظر إليه ثُمَّ عاد ونظر إلى باقي المُسنّين، وقال:

- من الواضح أنَّكم أيضًا ترون رأي السيد طاهر.

وعندما لم يُجِبْ أحدٌ التفت الجدّ سليمان إلى السَّيد طاهر، وقال:

- ما قلتَه في حقّ كمال صحيح، ولكن هل من الصواب التخلّي عن مُساعدته لهذا السبب فقط؟!

فأجاب السيد طاهر على هذا السؤال بسؤال آخر قائلًا:

- هل يعني هذا أنك ستُعطي معونة شهر رمضان المبارك لشخص لا علاقة له بالدين! وينفق كل ما تملك يداه على الخمر والميسر؟!

ابتسم الجدّ سليمان وقال:

- يا سيد طاهر، كُنْ أكثر تفهُّمًا، مهما كان كمال سيئًا فهو من خلق الله؛ إنه امرؤ يُؤمن بالله وبرحمته الواسعة كثيرًا، فلماذا أَحْرِم نفسي ثوابَ مُساعدته من أجل بعض صفاته السيئة؟!

فتح السيد طاهر فمَه، وأوشك أن يقول شيئًا، إلا أن الجدّ سليمان لم يَدَعْه يتحدّث فقاطعَه قائلًا:

- للأسف هناك كثير ممن يعصون الله في الأرض، حتى إنَّ بعضهم قد نسُوا الله، ومع ذلك فإنَّ ربنا الكريم الرؤف الرحيم لم يَضِنَّ عليهم بنِعَمِه، ولو كان ينبغي قَطْع الرزق عنهم بسبب ذنوبهم لما رزقهم الله ولو شَرْبة ماء، أمَّا كمال مقارنة بهم فهو بريء، إضافةً إلى أنَّه إنسان، فإذا كان مُحتاجًا إلى المساعدة فلا ننظر إلى كونه مسلمًا أو نصرانيًّا أو يهوديًّا أو أيَّ شيء آخر.

حَنَا المسنّون رؤوسَهم خجَلًا، فهم لم يُفكّروا بالأمر من هذه الناحية مُطلقًا.

يناديه الناس جميعًا: الحاج ياشار، لكنَّه لم يذهب إلى الحجّ ولا العمرة،

وكان إذا همَّ أحد بنصيحته يتغيّر حاله، ويفتح عَيْنَيْه، ويقول:

- آه! لا تنظروا إليَّ وأنا على هذه الحال، إن شاء الله سيأتي يوم يتوفّر لدي فيه المال وأذهب إلى الحجّ، وأطوف بالكعبة، وبالطبع عندما أُصبح حاجًّا فلن أرتكب إثمًا مرة أخرى، سترون! سوف أترك هذه العادات السيئة!

لقَّبه القَرَويون بالحاجّ؛ لأنَّه كان يقول هذه الكلمات بصدق.

شغَل الجدّ سليمان نفسه، فأخذ يَنْكُت الأرض بعصا في يده، ونظر المسنّون إلى بعضٍ نَظْرة خِزْيٍ وخَجَل، كان كل منهم يشعر في تلك اللحظة بالنَّدمِ الشديد، فهمس السيد طاهر، وقال:

- ليتنا لم ننبُذ كمال هكذا بسبب أفعاله، ليتنا جعلناه يشعر بأنَّه واحد منَّا، وسألناه عن حاله بدلًا من توبيخه وتأنيبه، ليتنا -نحن كبارَ القرية- زرناه من حين لآخر في منزله، ليتنا أعنَّاه ليوفّر احتياجاته، ليتنا فَعَلْنا وما سمحنا لوضعه أن يسوء هكذا يومًا بعد آخر، فكُنَّا كُلَّما أَدرْنا عنه وجوهنا خَسِرَ نَفْسه أكثر، وكُلَّما خَسِر نفسه كنا نبتعد عنه أكثر، ما كان يجب أن يحدث هذا، أخشى أن يسألنا الله عن هذا يومًا ما.

كانوا جميعًا يفكّرون بالشيء نفسِه، ثمّ سأله أحدُهم:

- لِمَ لم تَعُدّ سمير؟! هو أيضًا فقير جدًّا! ألن تُعطيه هو الآخر شيئًا يا جدّ سليمان؟!

نظر الجدّ سليمان إلى السائل بطَرف عَيْنَيْه، ولم يُجب، فسأله الرجل المُسنّ ثانية بفضول:

– هل قلتُ شيئًا خاطئًا يا سليمان –لقد نظرت إليَّ نظرة غريبة– أم أن هناك أمرًا ما؟!

هزَّ الجد سليمان رأسه قائلًا:

– ماذا سيكون بيني وبين سمير؟! ما أفكِّر فيه هو أنَّ الآخرين أكثر منه فَقْرًا، فأنتم تعلمون أن سمير شخص يمتلك القوة والصحة، ويستطيع بإذن الله أن يحصل على قُوْت يومه بيده.

ذكر لهم ذلك لكي يُغيّر موضوع الحديث، فبعد حادثة الأمس كيف يُمكنه اقتراح إعطاء القمح والدقيق لسمير؟! وشعر بضيقٍ في نفسه، وقال:

– وماذا لو أحرجته؟! لا بد أنَّ سمير يعلم بأنَّه أوقع قُبَّعته في الطاحونة، أفضل شيء الآن هو أن لا ألتقي به إلى حين.

رُفِع الأذان والجدّ سليمان يُفكّر في ذلك، وظهَر سمير أمام باب الفِناء، وكما يُقال في المَثَل: ابن الحلال عند ذِكْره، ونظر الجدّ سليمان وسمير إلى بعضهما، ثمّ حوَّل كل منهم نظره باتجاه آخر في نفس اللحظة، والتفتَ الجدّ سُليمان لمن كانوا بجانبه وقال:

– رُفع الآذان أيُّها السادة! هيَّا إلى المسجد.



بعد أن أدى القرويون الصلاة، عادوا إلى أعمالهم ومنازلهم، وكان سمير آخرَ من خرجَ من المسجد، فقد تشاغل في المسجد قليلًا، وانتظر حتى يبتعد الجدّ سليمان، ثمَّ وقف أمام الباب، ونظر حوله برِيْبة، لكن لم يكن هناك أحد، فسار إلى منزله مُباشرة، ومن جديد هبَّت العواصف في ضميره، وكان

طوال الطريق يفكِّر في كلمات الإمام في الخطبة:

- أيُّها الناس! لا تيأسوا من رَوْح الله، وإن كانت ذنوبكم كالجبال فلا تقنطوا من رحمة الله، فربّنا عفوٌّ يحب العَفْو، ويغفِر جميع ذنُوبكم التي نَدِمْتم عليها، يكفي أن تتوبوا، وتلجؤوا إلى الله من صميم قلوبكم.

انحنى سمير نحو الأرض وأخذ حجَرًا، كان يحاول أن يُخْمِد العاصفة التي ثارَتْ في داخله، فأخذ يُقَلِّب الحجَر بين يديه، ثمَّ ألقاه بسَخَط إلى الدَّغل الذي أمامه، وقال:

- أنا لستُ بسارق، فأنا لم أسرق هذا القمح، بل إنني استعرته، سوف أردُّه خُفية وقت الحصاد، بل وأكثر منه، فلِمَ يُعَدُّ هذا إثمًا؟! ربي أعلم بنيتي.

كان ضميره يؤنبه، حاول سمير مقاومة هذا التأنيب، ثم قال:

- نعم لقد سرقْتَ! أنت لِصٌّ! الأشياء التي تؤخذ من دون إذن صاحبها لا تُعد دينًا، هذه سرقة علانية، ماذا لو كان صاحب الشيء الذي أخذته بحاجة إليه؟!

- لكنني بعد ذلك سأردّه!

- وما أدراك أنَّك ستظل حيًّا أم أنَّك تضمن أن تعيش أو يعيش الجدّ سليمان حتى يأتي الحصاد؟!

- ها؟!

هزَّ سمير رأسه مُحاولًا أن يُشتِّت أفكاره هذه ضاغطًا على قَبْضة يده، وعندما لم يُفْلح أخذ يتمتمُ بأغنية؛ لئلا يسمع صَرْخة ضميره:

طريقي هنا ما أطولَه

ففيه أسير

ليلًا نهارًا وما أضيقَه

فكيف المصير

وصل سمير إلى باب حديقة المنزل، فتوقَّف عن تكرار هاتين الجملتين اللتين يعرفهما من الأُغنية، أسند يده إلى الباب، وانتظر بُرْهة من الوقت، ثمَّ رجع إلى الخَلْف بحركةٍ مُفاجئة، وهو يُعاتب نفسه، ويسير مُسرعًا، ثمّ قال:

- لم يكن قول أمك -رحمها الله- «ولدي الأحمق» عن فراغ، فأنت في بداية الطريق ولا حقل لديك ولا قمح، فانهض إلى العُمْدة، عسى أن يجد لك حلًّا.

وصل إلى المقهى، ونظر حوله فوجد من كان يبحث عنه، سار بخُطًى خجولةٍ نحو العُمْدة، وجلس بجانبه، حيَّى كل منهما الآخر، ثمَّ نادى العُمْدةُ العاملَ قائلًا:

- بُنيَّ سليم! تعال وهات الشاي لسمير.

كان سليم مُنشغلًا بغسل الأكواب، فأجاب دون أن يلتفت قائلًا:

- سأُحضر الشاي حالًا يا عمّ! سيكون جاهزًا بعد خمس دقائق، ثمَّ عاد العُمْدة إلى سمير، فقال:

- نعم يا سمير! تحدَّث، كيف حال صغيرنا أحمد؟

فأجاب سمير، وهو ينظر بطَرف عَيْنَيْه إلى السُّبحة التي في يد العُمْدة قائلًا:

- ها، إنَّه ينمو ويكبر شيئًا فشيئًا.

كان العُمْدة يُسَبّح بمِسْبحتِهِ ذات الحبّات الضَّخْمة بسرعة، وصمتا فترة طويلة، ثمّ رفع سمير رأسه، ونظر حوله، كان لا يريد أن يَسمع أحدٌ ما سيقول، وعندما أراد أن يبدأ بالحديث سأله العُمدة قائلًا:

- خيرًا يا سمير! هل هناك ما يُضايقك؟

ارتاح سمير قليلًا لهذا السؤال، فضمَّ يديه فوق المِنْضَدة، وأخذ يُفضي بما يُضْمِره في نفسه قائلًا:

- آهٍ آه، لا أعرف من أين أبدأ؟ كنت سأقول شيئًا يا عمّ! أنا أُفكّر أنْ أزرع القمح هذا العام، الحمد لله، له الشُّكر، مَنحني قوة وطاقة، فإذا وجدت حقلًا بمقدار فَدّان أو فَدّانين، يُمكنني أن أعيش دونَ أن أحتاج إلى أحد.

نظر العُمْدة إليه بعَطْفٍ، وقال:

- إذا كان هناك ما يُمكنني فِعْله، قُلْ بلا تردُّد.

أراحت هذه الكلمات سمير أكثر، فقال للعمدة -وهو ينظرُ إليه نظرات يملؤها الأَمَل:

- أنت رجل غنيٌّ ذو قلب طيب، وقد كنتَ لي دائمًا وأبدًا خير مُعين بعد الله.

توقَّف العُمدة عن التسبيح، ورفع صوته قليلًا، ثمَّ قال مُقطّبًا حاجبَيْه:

- دعك من هذا الآن! قُلْ ماذا تريد مني؟

أحنى سمير رأسه، وقال:

- هل في استطاعتك أن تعطيني حقلًا صغيرًا لمدة عام واحد فقط؟ لديّ قليل من القمح، ولا أحتاج إلى محراث أو ثور؛ لأنني سأزرع وأحرث الحقل بالمِعوَل، وبهذا لن يُعاني أهل بيتي الجوع، فما رأيك؟

انتظر جواب العُمْدة بشَغَف وهو يتصبَّبُ عَرَقًا، وربَّما هذه هي المرة الأولى التي يطلب فيها شيئًا من أحد، فما أصعب ذلك عليه! بل إنَّه قال في نفسه:

- ليتني لم أقل شيئًا.

عاد العُمْدة إلى التسبيح بمِسْبَحَتِهِ، وأرخى حاجبَيْه المقَطَّبين، وكان يعلم بحال سمير، ثم ابتسم قائلًا:



- هذا يعني أنَّك ستزرع القمح؟ ها! بل ستحرث الحقل بالمِعْوَل! لقد أعجبني قولك، أحسنت يا سمير! هذا هو ما يليق بك حقًّا، أنا أُحبّ من يسعى جاهدًا لئلا يكون في حاجة إلى أحد.

النادل:

- تفضَّلْ الشاي يا سمير.

تسمّرت عينا سمير على شفتي العُمدة، فلم يرَ حتى الشاي الذي قدمه له سليم، قال العُمْدة:

- أمر الحقل سهل.

ثمَّ نزع قُبَّعته، وفكَّر قليلًا، وحكَّ أُذنيه، ثمَّ قال:

- يُمكنني أن أُعطيك حَقْلي المجاور لحديقة السيد بديع، اهتمَّ أنت بالعمل فقط، صحيح أن المكان هناك صَخْري بعض الشيء، ولكنَّك ستتغلب على هذه الصعوبات، نقِّ الحقل من الأحجار جيدًا، ثمَّ عُدْ لنُعطيك ثورين؛ وبهذا تحرُث الأرض بالمحراث لا بالمِعْوَل.

كاد سمير يطير فرحًا تلك اللحظة، فأكمل العُمْدة حديثه قائلًا:

- إذا اجتهدت كما تقول، فستزرع الحقل لمدة سنة، لا بل سيكون لك ما دُمْت حيًّا، وبهذا تدعو لي أن يطول عمري، هيا يا سمير! أنقذْ نفسك من براثن الفَقْر، ولا تجعل صغيرنا أحمد وصالحة أيضًا في حاجة إلى أحد.

نهض سمير، وعانَق العُمْدة، ثُمَّ هُرع إلى الباب بأعين دامعة، فناداه العُمْدة من خَلْفه قائلًا:

- يا! أنت لم تشرب شايك!



الحبُّ والحنان

كان يومًا حارًّا، كادت حرارة الشمس تلفح رؤوس العاملين في الحدائق والحقول، وكانت الفاكهة تنضج وتطيب مع بعضها بمرور الوقت، وسنابل

القمح تزداد اصفرارًا يومًا بعد آخر.

وكان الرجلان يسيران في طريق القرية جَنْبًا إلى جنب يتحدَّثان، ويشاهدان الجمال الفائق الذي سيَّج جانبي الطريق، فأشار المُسنُّ إلى الحديقة التي خلف الطريق قائلًا:

- أترى يا عباس! لقد اعتنى بديع من جديد بالمشْمش جيدًا، والمنظر يُوحي بأنَّه سوف يحصد محصولًا جيدًا هذا العام، إنك لن تَجِدَ ثمار مشْمش ضَخْمة إلى هذا الحدّ في أشجار الآخرين، فكيف ينجح بديع في هذا الأمر في رأيك؟!

حدَّق عباس في ثمار المشْمش الصفراء الذهبية، وهي تتمايل في الأغصان، وابتلع ريقه ثمَّ أجاب قائلًا:

- يا عم سليمان! السيد بديع يعتني بحديقته مثل عَيْنَيْهِ، فكل شجرة فيها عزيزة عليه كابنه، أنا كثيرًا ما أراه يُلاطف هذه الأشجار ويُدلِّلها، ليس هذا فقط، بل إنَّه يُحدّثها بكلمات غريبة، وكأنَّها تفهم ما يقوله، فهو يُمْسِك غُصْن الشجرة، ويظلّ يتحدّث إلى الأوراق والأزهار ساعات.

فكَّر الجدّ سليمان لحظة في السيد بديع، فوضع نفسه مكانه، وحدَّق في ثمار المشْمش جيدًا، وتذكَّر أنَّ هذه الشجرة الضَّخْمة والفاكهة الجميلة قد خرجت من نواة مُتناهية الصِّغَر، وتمثّل أمام ناظريه مراحلُ غَرْس هذه النواة

في الأرض، ونُموِّها وتكوينها للنبتة حتى وصولها إلى هذه الحال، وأخذ يتأمّل قُدرة الله عز وجل الذي وَضَع هذه الشجرة الضَّخْمة داخل تلك النواة الصغيرة، وقال هامسًا:

- سبحانك يا ربي!

ثمَّ التفت إلى عباس، وقال:

- إذًا ليس الماء والهواء والتُّربة والشمس هو ما يُغذّي الشجرة فقط! فقد خُلقت كل الكائنات بحاجة إلى الحُبِّ والحنان، إذًا هذا هو سرُّ جمال ثِمار المشْمش الضَّخْمة هذه، وإلا فكيف تطرح شجرة مشْمش ثمارًا رائعة كهذه؟! إن ثمار الآخرين قد نبتت في نفس المناخ ونفس التُّرْبة تقريبًا، إلا أنَّ ثمارهم ليست كبيرة كهذه.

سلك الاثنان طريقهما بخُطُوَات بطيئة حتى عبَرا حديقة السيد بديع، وأمعن الجدُّ سليمان النظر في حَقْل القَمْح الواقع خلف الطريق، فقد كانت سنابله الذهبية تتمايل جذورها مع الرِّياح، فقال لعباس دون أن يُحوّل نظره عنها:

- تُرى متى سيحصد العُمدة هذا الزَّرْع؟ ما شاء الله! هي أيضًا أكبر من السنابل الأخرى، تدبّرْ أمر الله هذا! حبة واحدة تُعطي سُنْبلة مُمتلئة، هذا ما يُطلق عليه البركة.



عباس:

- هـذا الزرع ليس للعُمْدة، إنَّه لسمير، لقد أعطاه العُمْدة الحَقْل مُقابلَ الزراعة الدائمة.

توقّف الجدّ سليمان، وأمعن النظر في المحصول، ثمَّ قال:

- يعني هذه السنابل لسمير! ما شاء الله! أحسن صنعًا بإقدامه على زرع الحقل، فهو الآن سيتمكَّن من جَنْي محصوله الخاصّ.

وأخذا يتحدَّثان عن الزِّراعة إلى أن وصلا إلى القرية، فتحدَّثا عن سمير والعُمْدة، وعندما أدركا المسجد حان وقت الصلاة، فدخلا الفِناء مُسرعَيْن.

وبينما كمال في طريقه إلى القرية عصرًا، بدَتْ مِشْيته غريبة، وراح يتمايل يمينًا ويسارًا في كل خطوة، ويحاول جاهدًا ألا يسقط، ثم توقّف عندما وصل إلى سور حديقة السيد بديع، وألقى نظرةً خاطفة بين الأشجار، وعندما لم يجد أحدًا داخل الحديقة قفَز من السور إلى الداخل، انتظر بُرْهة وأنصت لما حَوْله، ثمَّ أدرج في وِشاحه الزجاجة التي كانت في يده، وأسرع إلى أقرب شجرة وملأها بالمشْمش، ثم هرَب مُسرعًا إلى الطريق، وفي الطريق ظلَّ يترنَّح في مِشْيته، ويشرب شيئًا من الزجاجة التي في وِشاحه مرّة بعد أخرى، ويأكل المشْمش الذي يُخرجه من جيوبه، وبينما كان يمرُّ بجانب محصول سمير، رأى أحدهم قادمًا من بعيد، وانتبه إلى أنَّ القادم هو الجدّ سُليمان، فارتبك كمال لرؤيته، وألقى زجاجة الخمر في الحَقْل، وأكل المشْمش المتبقّي في جيبه بسُرعة.

رأى الجدّ سليمان كمال، فأسرع في خُطاه، وعندما تقابلا وَجْهًا لوَجْه، ناداه الجدُّ قائلًا:

- خيرًا إن شاء الله! من أين أنت قادم يا حاج!

وعندما لم يُجِبْه توقَّف الجدّ سليمان، وتوقّف الحاج، فقال الجدّ سليمان:

- اليوم بحثت عنك في القرية كثيرًا، ولكني لم أَجِدْك، أنت محظوظ لأني قابلتك الآن، لقد خصّصتُ لك القمح في الطاحونة، تعالَ في الغد لكي تأخذه.

لم يجبه كمال، وواصل الجد كلامه:

-ما رأيك؟ هل باستطاعتك أن تأتي إلى الطَّاحونة غدًا؟!

هزَّ يشار رأسه مُعبّرًا عن مُوافقته، وابتعد وهو يترنَّح في مِشْيته، فنظر الجدّ سليمان إليه بحُزْن، ودعا قائلًا:

- اللهم امنحه فُرْصة كي يُحقّق آماله، اللهمَّ أكرمه بالحجّ حقًّا عسى أنْ يتوب ويعود إلى رُشْده.

وعندما تقدَّم جد سليمان قليلًا لاحظ نوَيَات المشْمش الصَّابحة، فقطّب حاجَبَيْه، والتفت إلى كمال أولًا، ثمَّ إلى ثمار السيد بديع، وهمَس قائلًا:

- يا إلهي! سيد بديع، تُرى ما الذي كان سيحدث لو لم تُحِط ثمار المشْمش جميعها بسور وتركْت شجرة أو اثنتين بجانب الطريق ليأكل منها

الغادي والرائح؟! كنت ستأخذ ثوابًا دون أن تحوج أحدًا للسرقة، فمن ذا الذي لا يتطلع إلى ثمار المشْمش الجميلة الخلابة؟!

ابتعد كمال كثيرًا، ثمَّ عاد ونظر خلفه، ولاحظ أن الجدّ سليمان قد توارَى عن الأنظار، وعندئذٍ أسرع كمال إلى الحقل فاقتحمه ودَخَلَ بين الزرع، وبعد أن بحث وفتَّش قليلًا، وجد المكان الذي ألقى فيه الزجاجة، وعندما رآها تغضَّنت أساريره؛ فقد اصطدمت الزجاجة بصخرة كبيرة مدفونة في التراب وانكسرت، غَضِب كمال كثيرًا، فركَل القِطَع المُنكسرة التي كانت تحت قدَمِه، ولكن غضبَه لم يهدأْ؛ ولهذا أخذ ينتف بغَيْظ السنابل المحيطة به، ويُلقي بها يمينًا ويسارًا، ثمَّ خرج من الحقل وسلَك طريق القرية، وهو يُوبِّخ نفسه.



سَرَقَ وَلَكِنْ...

تشهد المطاحن في هذه الأيام ازدحامًا كبيرًا، إذ يحصد القَرَويّون القمح ويبادرون إلى الطاحونة فورًا، فيُضطر الجدّ سليمان للعمل حتى المساء؛ فإذا انصرف الناس أعدّ طعامه وأكل.

-عمي سُليمان! عمي سُليمان!

ترك الجدّ سُليمان اللُقمة التي في يده، وأنصت قليلًا، فتعرَّف على صاحب الصوت، وهمَس قائلًا:

- سمير! إنه لا يأتي إلى هنا أبدًا! خيرًا إن شاء الله! تُرى ماذا حدث!

ثمَّ نهض وفتح الباب، وعندما التقت عينه بعين سمير، سأله قائلًا:

- ماذا حدث يا سمير؟! ما هذه الحال التي أنت عليها؟!

كان سمير يبدو وكأنَّه قد زحَف وسَط فَحْم، وجهُه وعيناه وثيابه مُغبرّة باللون الأسود القاتم، والدموع تسيل من عَيْنَيْه، فأضاف الجدّ سُليمان:

- ماذا حدث لك؟! قل ماذا حدث؟!

وفَجْأة غَرِق سمير في شَهَقاته، وغطّى وجهه بيديه، وقال:

- سامحني يا عم سليمان! لقد ارتكبت خطأً جسيمًا، اعفُ عني!

حاول الجدّ سليمان تهدِئَته قائلًا:

- تعال! اغسل يديك ووجهك، واسترخِ قليلًا، ثمَّ اشرح ماذا حدث لاحقًا، ولكن هدِّئ من رَوْعك أولًا.

غسل سمير وجهه ويديه في النهر، فأحسَّ بالراحة من ذلك الماء الفاتر، ثم أغمض عَيْنَيْه وانتظر قليلًا، فقال الجدّ سُليمان:

- ها! الآن يُمكنك أن تتحدّث، هيَّا قُلْ ماذا حدث؟!

-لقد دُمِّر محصولي، احترق، احترق! احترق كلُّه وانتهى، وصار رَمادًا، من فعَل هذا؟ لماذا يحرقون محصولي؟ أنا ليس لي عدو أو عداء مع أحد!

انتفض الجدّ سليمان، وظهر قلَقُه على شفتيه، فقال مُنفعلًا:

- ماذا تقول يا سمير! ها! احترق زرعك؟! مَنْ حرقه؟!

- لا أعرف من حرقه، ولكنَّ محصولي الجميل هذا قد اشتعل بشدة والناس ينظرون، لقد حاولت كثيرًا، ولكني لم أتمكَّن من إِخْماد الحريق.

- هل احترق الحقل أمام ناظريك؟! يا إلهي! كيف يمكن أن يحدث هذا؟!

- لقد حدث يا عمي سُليمان! كنت قد بدأت أحصد هذا الصباح، وقد حصدت كثيرًا حتى وقت الظهيرة، ففكرت أن أستريح نصف ساعة بعد الغداء، نِمْت قليلًا في ظلّ شجرة التين، وعندما فتحت عينيّ مع هديل الطيور صُعِقْتُ من هَوْل ما رأيتُ! اللهبُ يتطاير في كل مكان، تحيّرتُ... ماذا عليّ أن أفعل؟! فهذا محصولي يحترق أمام عينيّ!

-ألم ترَ أحدًا؟!

- لا، لم أرَ أحدًا! في الحقيقة ما كنت واعيًا لرؤية أحد، لقد جنَّ جنوني، فهُرِعْتُ إلى الحقل دون أن أُدرك ما أفعلُه، وقد أوشكت أن أحترق أنا أيضًا، كيف يفعلون بي هذا يا عمي سُليمان؟! أما في قلوبهم رحمة؟!

– اهدأ، فهذه ليست نهاية العالم، الحمد لله، مصيبتك في المال وليست في الدين.

– ماذا تقول يا عمي سُليمان؟ هذا القمح غالٍ عليَّ مثل نفسي، فهو كلُّ شيء عندي، كنت سأبدأ حياة جديدة بعد الحصاد! والآن ماذا أفعل؟!

صمت الجد سليمان قليلًا، ثمَّ قال:

– حسنًا! فلماذا جئت إلى هنا؟ حقلك أقرب إلى القرية من هنا!

وأخذ سمير يبكي ثانية بسبب هذا السؤال، فلم يُلحّ الجدّ سليمان عليه، ومرّر يده برِفقٍ على شعر سمير قائلًا:

– لا تحزن! فالله يُغلق بابًا ويفتح آخر، والرزق في يديه، بالطبع هو أعلم بحالك، وسيكشف عنك الضرّ، فحسْبُك أن تتّكِلَ عليه.

رفع سمير رأسه، وهو يتحدَّثُ بكلماتٍ مُتقطّعة:

– جاء القرويون يُهْرَعون عندما رأوا الدُّخان، ولكن فات الأوان؛ فقد استطاعوا أن يمنعوا انتشار الحريق فقط، أمَّا سبب مجيئي إلى هنا...

وقبل أن يُنهي سمير جملته أحضر الجدّ سُليمان قَصْعة ماء، وقال له:

– اشرب هذه، وكُفَّ عن البكاء يا سمير!

– لكن، لكن هذا القمح قد أخذته من...

أوقفه الجدّ سُليمان بقوله:

- صَهْ، أعلم، لا داعي لأنْ تقول شيئًا، لقد أخذتَ القمح من هنا، ولكن لا تُبالِ مطلقًا، فأنا لم أُسئ بك الظنّ يومًا، وفي الواقع كنت قد خبَّأتُه لك.

-سامحني يا عمي سُليمان! ولكن صدقني أنا لست بسارق، كنت سأعيد هذا القمح من جديد بعد الحصاد.

-أنا أصدقك، بل إني لم أغضب منك ألبتة وسامحتك، وكما قلت لك كان هذا القمح مُخصّصًا من أجلك، حلال عليك.

كفَّ سمير عن البكاء، وابتلع ريقه، وقال:

- هذا تدبير الله، لقد علمتني هذه الحادثة درسًا جميلًا، وعليّ أن أبدأ كل شيء من جديد، بعد إذنك يا عمي سُليمان! سأعود إلى القرية، أدامَك الله لنا.

وبينما كان الجدّ سُليمان يُتبِعُ سميرًا بصَرَه، أخذ يُفكِّر يا تُرى من حرق المحصول؟!

خرج الجدّ سُليمان إلى القرية في صباح الغَد مبكِّرًا؛ ليتحدَّث إلى سمير، ويخبره بأنه يستطيع أن يُعطيه القمح، وصل إلى الحقلِ المحترق، وهو يُفَكِّرُ ماذا يمكنه أن يفعل من أجل سمير الذي تبيَّن أنَّه مسكين، وقف وفحَص الحقل بدِقّة، كان المكان مُغَطًّى باللون الأسود القاتم، فقال في نفسه: تُرى مَن حرق الحقل؟! وكيف أخفى نفسَه وهو يفعل ذلك؟!

لفت انتباهه -وهو يجول بنظره في الأطراف- رجلٌ في ظلِّ السور، جالس على الأرض، وظهره إلى جهة الطَّريق، قد أَقْعَى أي جلس وقد ألصق رُكبتيه ببطنه، ووضع رأسه على ركبتيه، وتكوّر على نفسه.

اتّجه الجدّ سليمان إليه، وسأله بقلق:

- سمير! أهذا أنت؟!

ولما لم يجبْه اقترب منه أكثر.

-يا حاجّ! ماذا تفعل هنا؟

رفع الحاج كمال رأسه وهو يبكي، ثمّ نهض على قدمَيْه، وعانق الجدّ سُليمان، لم يفهم الجدّ سليمان ما يحدث، هل يبكي هذا الرجل على حقل سمير المحترق؟!

- اشهد يا عمي سليمان، أنا لن أشرب الخمر ثانية، ولن ألعب القمار من الآن فصاعدًا، كما أنَّني لن أسرق أو آخذ شيئًا بدون إذن، أنا الذي أوقعْتُ سمير في هذا المأزِق، والآن كيف سأنظر في وجهه هو وأهل القرية؟!

وقع الرَّيْب في قلب الجدّ سُليمان، فسأله بفضول:

- هل أنت مَنْ حرَق الحقل؟!

تراجع كمال قليلًا، واستند إلى السُّوْر، ثمَّ أطال النظر بعينيه الدامعتين إلى الحقل المحترق من أوله إلى آخره، وقال:



– نعم، مع الأسف لقد أحرقته يا عمي سليمان! ولكن صدقني لم أتعمَّد ذلك.

قال هذا الكلام وهو يَئِنّ، ثمَّ تابع حديثه المتقَطِّع قائلًا:

– لقد قابلتُك هنا أمس، وقتها قذفتُ زجاجة الخمر من يدي في الحقل، وعندما ذهبتَ عُدْتُ لكي آخذها، فوجدتُ الزجاجة قد اصطدمتْ

بصخرة وانكسرت، ثمّ سمعت بالأمس في القرية عن أمر سمير، لقد بدأ الحريق من هنا بالضبط، من المكان الذي وجدت فيه زجاجتي المكسورة، لم أستطع النوم طوال الليل يا عم سليمان! وعندما حلّ الصباح جئتُ إلى هذا المكان مُسرعًا، وما زالت الزجاجة المحطَّمة هناك.

لم يفهم الجدّ سليمان ما قاله كمال، فسأله قائلًا:

- ما علاقة هذا بالحريق يا كمال؟!

مسح كمال وجهه بظهر يده، وجلس في مكانه مستندًا إلى السور، ثُمَّ قال:

- في العام الماضي كان معلم القرية يقول: علينا أن نَحْمِيَ غابتنا يا أصدقاء! فإنَّ الزجاجات التي تُلقى في الأطراف جُزافًا يُمكن أن تتسبّب في حريق؛ لأنَّ حُطام الزجاج يتجمع بحرارة شمس الصيف، ويحتكّ مع الأعشاب اليابسة تحته فتشتعل، وأنا مُتأكّد أنَّ هذا هو سبب ذلك الحريق.

وفهم الجدّ سليمان ما يقصده، فقال له مواسيًا:

-لا تحزن! فقد حدث ما حدث، أنا سوف أُعوّض سمير عن خسارته، وأيضًا سَنشرح له هذا الوضع لاحقًا، ونطلب منه السماح، اتفقنا؟

سعِد كمال كثيرًا بهذا، وأظهر للجدّ سليمان أنَّ الزجاجة السوداء التي في يده مكسورة، ثمَّ قال:

- يا عمي سُليمان! أنا أَعِدُكَ من الآن أنني سأترك هذه العادة السيئة، كُنْ شاهدًا على هذا، من الآن فصاعدًا لن أضع في فمي شَرْبة من هذا السم، وبإذن الله لن أتسبّب في الضّرَر لأحد.

دقَّ قلب الجدّ سليمان فرحًا، فقال:

- أحسنت يا ولدي! هذا هو ما يليق بك، وإن شاء الله ستبدأ بأداء الصلاة وبرِّ والدَيك، أليس كذلك؟

- طبعًا سأصلي! وأُؤدي فريضة الحجّ عندما يكون لديّ مال.

كاد الجدّ سليمان يطير فرحًا، وقال:

- سترُزَق بمالٍ كثيرٍ إن شاء الله يا حاجّ! ومِن الآن سنعمل معًا أنا وأنت، فقد تقدّمت بي السنّ، ولا أستطيع حمل الغِرارات وأنا في حالتي هذه، إذا قَبِلْتَ سَنُدِير الطاحونة أنا وأنت، والقمح الذي نكسِبه تبيعه أنت في المركز، وبذلك سيتحقّق أكبر حلم لك عندما يتوفّر لدينا المال الكافي.

-يعني سأذهب إلى الحج! أليس كذلك؟!

- ولم لا؟

لم يعرف كمال ماذا يقول من شدة فرحته وسعادته، فأسرع إلى الطريق مباشرة، وأخذ يرقص ويدور في مكانه، وكان الجدّ سليمان يشاهده مُبتسمًا، ويَهْمِس قائلًا:



- إنك ولدٌ مجنون.

صرخ الحاج كمال قائلًا:

- هيَّا يا عمي! لنذهبْ إلى القرية، لا بدّ أن أتطهّر وأغتسل، يجب

أن أتطهّر من قذارتي، فأنا قَذِر جِدًّا، تملؤني قَذارة أعوام، وستخرج هذه القَذارة قبل الظهر، علينا أن نُسرِع، سأُصلي صلاة الظهر في المسجد، وهذه ستكون أول صلاة لي يا عمي سُليمان! أول صلاة!

تحولت السعادة التي غمَرت قلب الجدّ سليمان إلى عَبَرات سالتْ على خدَّيْه، لم يكن الحاج كمال يُطيق صبرًا، وكان يقول:

- هيَّا يا عمي! ماذا ننتظر؟ لدينا عمل كثير جدًّا.

مسح الجدّ سليمان دموعه، ومشى نحو الحاج كمال وهو يقْفِز مثل الأطفال، وشكَر الله في نفسه، وهو يقول:

- سبحانك يا ربي! لقد أنعمت عليَّ بولد بعد هذا العُمر، وأيّ ولد؟! إنه كالأسد، وقد تاب من كل ذنوبه وتطهر.

ثمَّ ذهب وتأبّط ذراع كمال، وسار الاثنان معًا إلى القرية، نظر الجدّ سُليمان إلى حقل سمير المحترق، وتذكّر السنابل الذهبية التي كان يشاهدها هو وعباس عندما كانا يمرّان من هنا قبل عِدّة أسابيع، فأمسك بالحاج كمال بقوة، وانهالت الكلمات من شفتيه وهي تتطاير فوق رماد السنابل المُحترقة المُتناثرة مع الرياح:

- على كل حال لا بد أن هذه هي «البركة»، يا رب! لك الحمد عدَدَ السنابل التي في الأرض، وعدد الحبّات التي في السنابل.

ملاحظاتي حول الكتاب

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

ملاحظاتي حول الكتاب

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

أُحِبُّ رَسُولِي
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

صدر حديثا...



22x22	سم
48	صفحة

هَذَا الْكِتَابُ يُسَاعِدُ الْأَطْفَالَ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى سِيرَةِ رَسُولِنَا الْكَرِيمِ وَقَلْبِهِ الرَّحِيمِ، فتَعَالَوْا بِنَا نُرَبِّي أَنْفُسَنَا وَأَطْفَالَنَا عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبِّ

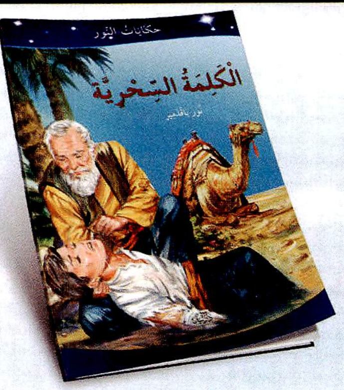


هَذَا الْكِتَابُ يُسَاعِدُ أَطْفَالَنَا الأَعِزَّاءَ لِيَتَعَرَّفُوا عَلَى مَا يُحِيطُ بِهِمْ مِنْ جَمَالِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِنَ الْتِمَاسِ مَحَبَّةِ اللهِ فِي تَفَاصِيلِ مَخْلُوقَاتِهِ كُلِّهَا.

حِكَايَاتُ النّور 3-1

نُور بَاقْدَمِير

صدر حديثا...



سافِر معنا للبحث عن كلمة السرّ...

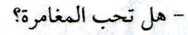
* كل الزائرين يُمنعون من العبور إلا الذي يعرف كلمة السرّ...
* كل الناس يتيهون إلا الذي يعرف كلمة السرّ...
* كل الأطفال يخافون إلا الذي يعرف كلمة السرّ...

هل تتوقَّع ما هي كلمة السرّ؟

أبطال القصة هما سالم وكريم، أنت مع مَن: مع سالم أم مع كريم؟

حكايات النور

مَا وَرَاءَ الغَابَة



- هل تحب المغامرة؟

تذكَّر أخطر مغامرة سمعتَ عنها، وقارن بينها وبين مواقف زيدان ووليد في هذه القصة:

زيدان يهوى المغامرات، أمَّا أخوه وليد فكان لا يمشي إلا في طريق آمِن.

- ما هو أخطر شيء واجهه زيدان ووليد في هذه المغامرة؟

الطريق واحد، لكنّ "وليد" نجا، و"زيدان" هلَك... فلماذا؟

- هل أنت مع زيدان أم مع وليد؟



من الفائز؟ ومن الخاسر؟

أراد تاجر كبير أن يختار "شادي أو ميسرة للعمل عنده...

أعطاهما نقودًا ليختبرَهما بشراء بضاعة من السوق...

* أعطى تاجر لشادي نقودًا أكثر وسلَّمه قائمة بأسماء المشتريات المطلوبة، ونصحَه وشرح له كلّ ما يلزم، وكذلك فعل مع ميسرة...

فاز ميسرة وخسِر شادي... فلماذا؟

هل تستطيع أن تساعد شادي ليفوز في مسابقة أخرى؟

تعرَّف على شادي وحاول أن تعرف مشكلته لتساعده...



مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

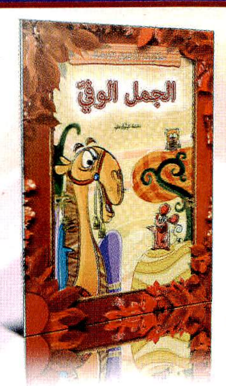
تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١

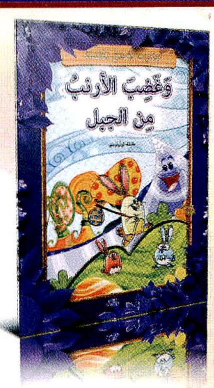
www.daralnile.com

حكايات الأخلاق الفاضلة 1-10

عائشة كولُوأوغلو

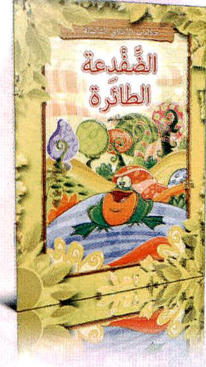


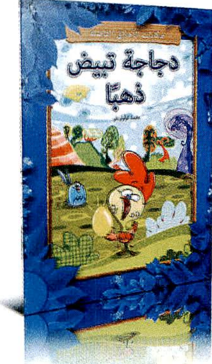


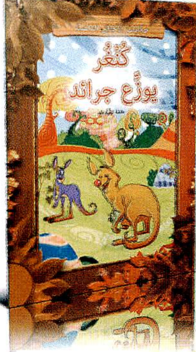




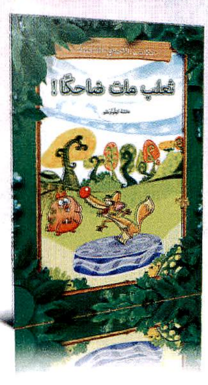
19.5x27 سم
32 صفحة

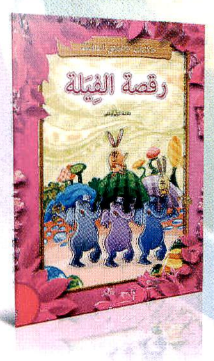


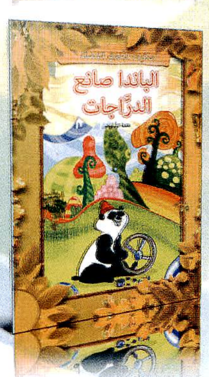
















مركز التوزيع فرع القاهرة : ٧ ش البرامكة، الحي السابع، مدينة نصر - القاهرة / مصر

تليفون وفاكس : ٢٦١٣٤٤٠٢ الهاتف الجوال : ٠١٠٠٠٧٨٠٨٤١

www.daralnile.com